المعنى الدلالي بين المعجم والسياق

خالد رمضان محمد الجربوع

الأستاذ المشارك الدكتور فليح مضحي السامرائي

ملخص

إن العلاقة بين اللفظ والمدلول علاقة متبادلة فليس اللفظ وحده هو الذي يستدعي المدلول، وإنما المدلول أيضا يمكنه أن يستدعي اللفظ، وهذا مرتبط بوضعية اللغة وعرفيتها وهو يندرج تحت ارتباط اللفظ بما يطرأ عليه من تغيير في المدلول تحت تأثير ما تعارف عليه بين الناس فيحول بينه وبين الدلالة الأولى التي وضع لها أصلا (الدلالة المعجمية)، ويكون ذلك بطريق تخصيصه بالمدلول الجديد، أو ارتباط اللفظ بما يطرأ عليه من استعمال في غير ما وضع له بطريق المجاز(الدلالة السياقية)،وقد يشيع الاستعمال المجازي أكثر من التصاقه بالمعنى الأصلي، أو يكون الاستخدام المجازي أبلغ في الدلالة من الاستخدام الأصلي؛ وهذا الانتقال من المعنى المعجمي إلى السياقي له طرق مختلفة تسلكها الكلمات متى وُجدت الأسباب لغوية وتاريخية واجتماعية ونفسية، فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق، ومعنى آخر في سياق آخر، فوجود اللفظ في النظم يحدد لنا وجه ضبط النص وبه نعرف الحكم المستفاد ومقصود المتكلم من ذلك اللفظ ذلك أنه قد تكون هناك كلمات لها معنى محدد، وهذا المعنى يتغير كلية لوجود الكلمات داخل سياق معين ، فعلم السامع بالدال يستوجب انتقال ذهنه لإدراك المدلول وبهذا يفرق بين المعنى المعجمي والسياقي والمثال على ذلك هاتين الجملتين (ضرب فلان في الأرض) بمعنى سافر، و(ضربت عليهم الدلة) بمعنى فرض ، وعلى هذا فسياق الالفاظ له مكانة بارزة في استخلاص الأحكام الفقهية والبلاغية والنقدية .
ولذلك نجد النص الأدبي في كثير من الأحيان يخرج بألفاظه من المعنى المعجمي إلى المعنى السياقي لأنه أبلغ في التأثير في المتلقي والدلالة تكون أبين .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:
إن علم الدلالة له أهمية بالغة في الجوانب العلمية والصحفية والأدبية وأساليب الاتصال في الحياة اليومية وما في مستواها، فاللغة العربية تمتلك ثروة لفظية هائلة تحوي صورا تركيبه ودلالية يمكننا بها أن نعبر عن الموقف الواحد بصور مختلفة ولكي نعرف الدال يجب أن نعرف العلاقة بينه وبين المدلول، وقد أصبحت النظرة إلى التحليل الدلالي الآن انه يغطي فرعين

الأول يهتم ببيان معاني الالفاظ المباشرة أو التي وضعت له من أصل وضعه في اللغة ويسمى هذا بالمعنى المعجمي
والثاني يهتم ببيان معنى اللفظ في السياق وعلاقته بما قبله وما بعده وهذه ما يسمى بالمعنى السياقي أي المعنى المخالف للمعنى الأصلي بشرط التركيب أما إدا جرد من التركيب يعود إلى معناه الأصلي فقد يختلف اللفظ والمعنى واحد مثل (أعطيناك وآتيناك) وقد يتعدد المعنى واللفظ واحد مثل (ضرب في الأرض بمعنى سافر) و(ضرب منزلا أي بناه)
ولغتنا العربية تزخر بالعديد والكثير من المصطلحات الغنيّة، بحيث أن للمعنى الواحد أكثر من جملة يمكن أن نعبر بها عنه فنقول مثلا (تجري الرياح بما لا تشتهي السُفن) فهذا تعبير مجازي ونقول (تجري الرياح بما لا تشتهي السَفن) وهذا تعبر حقيقي ألا ترى أن كلا التعبيرين معناهما واحد مع أنهما اختلفا بين الحقيقة والمجاز.

مشكلة البحث

إن معرفة معاني الالفاظ ضرورية لكي نفهم النص ولهذا قال الزركشي: يحتاج الكاشف عن ذلك إلى معرفة علم اللغة أسماءً وأفعالاً وحروفًا.
ولهذا لا يمكننا أن نفسر أي نص دون الإحاطة بمعنى اللفظ في سياقه الجملي وطبعا كل كاشف للنص له فهم خاص لهذا اللفظ ومن هذا الفهم ظهرت المذاهب في الدين الإسلامي واختلفت الشروح للنص الواحد فأردت أن أسلط بعض الضوء على مثل هذه الاختلافات وأن كل شارح مصيب حسب اجتهاده.

الهدف من دراسة علم الدلالة:

1 – التواصل اللغوي من حيث هو ممارسة تلقائية يحققها الاكتساب المعرفي باللغة.
2 – الوقوف على القوانين التي تنظم تغير المعاني وتطورها، والقواعد التي تسير وفقها اللغة، وذلك بالاطلاع على النصوص اللغوية بقصد ضبط المعاني المختلفة بأدوات محددة.
3 – إتباع المنهج التطوري التأصيلي الذي يقف على ميلاد الكلمات، ويتتبعها في مسارها التاريخي، وقد يردها إلى أصولها الأولى لان اللغة مؤسسة اجتماعية تحكمها نواميس مفروضة على الأفراد«[1]».
4 – التخلص من العناصر الدخيلة على علم اللسان، بغية الاقتصار علة المميزات الذاتية الملازمة لطبيعة اللغة«[2]».

سبب اختيار الموضوع:

1 - ينظر علم الدلالة – منقور عبد الجليل ص 18 واللسانيات وأسسها المعرفية – عبد السلام المسدي – ص 104
2 - اللسانيات وأسسها المعرفية ص 162

1 – هذا الموضوع جزء من البحث الذي أنا بصدد الكتابة فيه وعندما تعمقت فيه شدني إليه فأحببت أن أشارك بهذا الجزء.

2 – تعريف بعض القارئين والباحثين والذين لهم علاقة باللغة بهذا الجانب حتى يأخذوه بعين الاعتبار.

3 – تعريف الغير ناطقين باللغة العربية بجمال لغتنا وسعتها وغزارة ألفاظها وكثرة معانيها وأن اللفظ الواحد يحمل الكثير من المعاني المختلفة.

الدلالة لغة:
(دلل) د ل ل : الدَّلِيلُ ما يستدل به والدليل الدال وقد دَلَّهُ على الطريق يدله بالضم ِدَلاَلَةً بفتح الدال وكسرها و دُلُولةً بالضم والفتح أعلى ويقال أدَلَّ فأمل والاسم الدَّالَّةُ بتشديد اللام وفلان يُدِّلُ بفلان أي يثق به قال أبو عبيد الدَّلُّ قريب المعنى من الهدي وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك وفي الحديث (كان أصحاب عبد الله يرحلون إلى عمر رضي الله عنه فينظرون إلى سمته وهديه ودله فيتشبهون به) و تَدَلْدَلَ الشيء تحرك متدليا«1» دلل: جمع ذلول ، وهو السهل اللين الذي ليس بصعب«2»، وقوله جل وعز : ! (فاسلكي سبل ربك ذللا)«3» ! أي منقادة بالتسخير

وفي المصباح المنير (أَذْلَلْتُ) بالألف لغة والمصدر (دُلُولَةً) والاسم (الدِّلالَةُ) بكسر الدال وفتحها وهو ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه واسم الفاعل (دَالٌّ) و (دَلِيلٌ) وهو المرشد والكاشف و(دَلَّتِ) المرأة (دَلَلا) و(دَلًّا) من بابي تعب وضرب و(تَدَلَّلَتْ) (تَدَلُّلا) والاسم (الدَّلالُ) بالفتح وهو جرأتها في تكسر وتغنج كأنها مخالفة وليس بها خلاف«4»
وفي الاصطلاح :
يقول علي الجرجاني : (الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص ودلالة النص ...)«5» وهذا التعريف يشمل النص ووجه ضبطه والحكم المستفاد منه عن طريق وجود اللفظ في النظم

1- مختار الصحاح مادة دلل
2- غريب القرآن ـ أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني؛ تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، سنة النشر 1995م ص 230
3- سورة النحل آية 69
4- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي المؤلف : أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي المكتبة العلمية – بيروت 1 / 199
5- التعريفات ـــ علي بن محمد بن علي الجرجاني؛ تحقيق: إبراهيم الأبياري؛ دار الكتاب العربي – بيروت ط1 1405هـ ص 139

ولهذا يقول ابن جني: (إن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها، وتهذبها وتراعيها وتلاحظ أحكامها بالشعر تارة وبالخطب أُخرى؛ فإن المعاني أقوى عندها، وأكرم عليها وأفخم قدرا في نفوسها)«1».
ومن قول ابن جني نستنتج أن العلاقة بين اللفظ والمدلول علاقة متبادلة فليس اللفظ وحده هو الذي يستدعي المدلول، وإنما المدلول أيضا يمكنه أن يستدعي اللفظ ، وهذا مرتبط بوضعية اللغة وعرفيتها وهو يندرج تحت أمرين أساسيين هما :
1 – ارتباط اللفظ بما يطرأ عليه من تغيير في المدلول تحت تأثير ما تعارف عليه بين الناس فيحول بينه وبين الدلالة الأولى التي وضع لها أصلا ، ويكون ذلك بطريق تخصيصه بالمدلول الجديد .

2 – ارتباط اللفظ بما يطرأ عليه من استعمال في غير ما وضع له بطريق المجاز ، وقد يشيع الاستعمال المجازي أكثر من التصاقه بالمعنى الأصلي ، أو يكون الاستخدام المجازي أبلغ في الدلالة من الاستخدام الأصلي«2» .

وقد فرق أبو هلال العسكري بين الدلالة والاستدلال فيقول : (الدلالة ما يمكن الاستدلال به، والاستدلال فعل المستدل ولو كان الاستدلال والدلالة سواء لكان يجب أن لو صنع جميع المكلفين للاستدلال على حدث العالم أن لا يكون في العالم دلالة على ذلك) «3»
وعلى هذا قد يظن بعض الناس أنه يكفي لمعرفة معنى الكلمة الرجوع إلى المعجم لمعرفة المعنى وهذا غير كافي لمعرفة المعنى الدلالي؛ فالمعنى الدلالي يقصد به التحليل التام لمفهوم اللفظ المراد تعريفه ووصف المحيط باللفظ (أي السياق) فاللفظ يكتسب معناه من الالفاظ التي ركب معها ليكتسب معناه المميَّز له عن غيره وكذلك لنعرف مصدر تميزه وهويته لأن المعنى الدلالي ليس المعنى القريب من اللفظ أو المعنى المعجمي الذي يتبادر للذهن من أول وهلة وإنما هو دلالة اللفظ من حيث الوضع في السياق فهناك دلالة عامة وخاصة ومشتركة وأما من حيث القصد: فدالّ بالعبارة أو بالإشارة أو بالفحوى أو بالاقتضاء ، وعلى هذا لكي نعرف المعنى الدلالي للفظ لابد أن ننظر للمقام المنظوم فيه، وهذا لا يمكن أن يوضع له تعليل أو قاعدة، لأنه يعتمد على السياق ويغلب عليه طابع الاجتهاد، وطابع الملاحظة والتأمل والفهم الذاتي، فالفعل (ضرب) مثلا معناه المعجمي: ركل أو أحدث ألما على الجسم، أما معناه الدلالي لا يمكن أن نميزه إلا بعد وضعه في التركيب الذي يظهر لنا معاني مختلفة باختلاف التركيب وهذا من عجائب اللغة العربية التي لا يمكن أن تقاس بأي لغة أخرى.

1- الخصائص 215/1
2- ينظر التصور اللغوي عند علماء أصول الفقه؛ د. السيد أحمد عبد الغفار – دار المعرفة الجامعية – 1996 م . ص 63
3- معجم الفروق اللغوية ـ أبو هلال العسكري (المتوفى: 395هـ) تحقيق الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي ـ ط: الأولى، 1412هـ ص 232

تقول العرب: ضرب الفحل: شال بذنبه، وضرب الجرح: اشتد وجعه. وبمعنى سافر: (وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ). وبمعنى فرَّق مثل: ضرب الدهر بيننا، وضرَبَ القلبُ تحرَّك ونبض، ضرَب الضِّرسُ: اشتدَّ ألمه، ضرَب العِرْقُ:اختلج، ضرَب في الماء: تحرَّك وسبح فيه وضرَبَ الزَّمانُ: مضَى القرن الذي ضرَب مليء بكبار الحوادث، ضرَبَ بين النَّاسِ:أفسد بينهم، ضرب القاضي على يده: حجر، وضرب عليهم الدلة: فرض، أضرب عن الأمر: امتنع«1»

فهناك أكثر من تسعون منى لهذا الفعل لا يتسع المقام لذكرها؛ ألا تراه كيف يتغير معناه بتغير التركيب فالوقوف على المعنى الحرفي من أسباب القصور في الفهم لأنه يُهمل المعنى الدلالي وكلما كان وصف المقام أكثر تفصيلاً كان المعنى الدلالي أكثر وضوحاً، لذلك فإن غياب المقام يؤثر في فهم الكلام، فيجعله يحتمل غير المعنى المراد، وقد ينعكس التعدّد في فهم الكلام على عملية التحليل النحوي بتعدّد الأوجه، ولا يمكن وصولنا إلى هذا المعنى الدلالي إلّا بالكشف عن المقام الذي قيل فيه النص ولهذا يقول بعضهم (واعلم أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها لأن التركيب أعسر وأشق ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم ـ من حيث انفرادها ـ يفوق جميع كلامهم، ويعلو عليه، وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب)«2» ومن هذا ترى اللفظة في تركيب تستحسنها وتشدك إليها وفي تركيب آخر تستهجنها وتنكرها فيقول ابن الأثير في هذا المعنى (وسأضرب لك مثالًا يشهد بصحة ما ذكرته، وهو أنه قد جاءت لفظة واحدة في آية من القرآن وبيت من الشعر، فجاءت في القرآن جزلةً متينة، وفي الشعر ركيكة ضعيفة، فأثر التركيب فيها هذين الوصفين الضدين، أما الآية فقوله تعالى: {فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ}«3»

وأمَّا بيت الشعر فهو قول أبي الطيب المتنبي:

تلذُّ له المروءة وهي تؤذي ... ومن يعشق يلذُّ له الغرام«4»

وهذا البيت من أبيات المعاني الشريفة، إلا أن لفظة (تؤذي) قد جاءت فيه وفي الآية من القرآن, فحطت من قدر البيت لضعف تركيبها, وحسن موقعها في تركيب الآية.

1- ينظر معجم المعاني مادة ضرب

2 - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد - تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة 1 / 213

3 - سورة الأحزاب: الآية 53

4 - ديوان المتنبي 4/ 75

فأنصف أيها المتأمّل لما ذكرناه، واعرضه على طبعك السليم حتى تعلم صحته) «[1]».

وهناك كلمات تغير معناها بالكلية فتحولت من معناها الأصلي إلى معنى آخر مخالف والمثال على ذلك الكلمات الآتية:

1 – طول اليد دلالته القديمة كانت وصفا للجود والكرم والسخاء أما الدلالة الحالية تطلق على السارق

2 – الحريم دلالته القديمة كل ما حرم الله دلالته الحالية المرأة

3 – مأتم دلالته القديمة أي اجتماع ودلالته الحالية اجتماع للعزاء

4– السَبْت دلالته القديمة الدهر ودلالته الحالية يوم من أيام الأسبوع

ولذلك يقول عبد السلام المسدي (العنصر اللساني لا يستمد مقومات ارتباطه الدلالي إلا مما يلابسه من اصطلاح وتواطؤ بين أفراد المجموعة اللغوية المنزل فيها)«[2]» .

وتعريفه هو دراسة المعنى أو (العلم الذي يدرس المعنى)أو(ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى) أو(دلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى)«[3]»

تنقسم الدلالة إلى ثلاثة أقسام:

1 - دلالة المطابقة: هي دلالة اللفظ على ما وضع له ، كلفظ المسجد فإنه يدل على شيء معين جعل للصلاة، فلوا أراد إنسان أن يذهب إلى المسجد ، فإنه لا يذهب إلى السوق لعلمه أن المسجد لفظ يدل على مكان للعبادة وسميت مطابقة لتطابق اللفظ والمعنى، وتوافقهما في الدلالة، .

2 - دلالة التضمين: دلالة اللفظ على بعض ما وضع له وتضمنه ، ومثال ذلك دلالة لفظ الشجرة على الأوراق ، فإن الشجرة تضمنت الأوراق وغيرها ، فالذهن يتصور الأوراق وبقية الأجزاء مباشرة عند النطق بلفظ الشجرة ، فيتصور بدلالة التضمن فروعها وخشبها وثمارها وجميع ما حوت من أجزاء

3 - دلالة الالتزام هي: دلالة اللَّفظ على معنى خارج عن مُسمَّاه؛ لازم له لزومًا ذهنيًّا؛ بحيث يلزم من فهم المعنى المطابقي فهم ذلك الخارج اللَّازم عنه؛ كدلالة العمى على البصر، والأسد على الشّجاعة«[4]».

---

1 - المثل السائر 1 / 153

2 - التفكير اللساني في الحضارة العربية ص 108

3 - علم الدلالة ـ تأليف أحمد مختار عمر ط 5 ص 11

4 - الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية في ضوء الإثبات والتنزيه ـ أبو أحمد محمد أمان بن علي جامي علي (المتوفى: 1415هـ) المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية؛ ط1، 1408هـ

ولهذا (لا يجوز أن يكون وضوح الدلالة بمنأى عن مراعاة مقتضى الحال، بل يجب أن يُراعي بالإضافة إلى وضوح الدلالة على المعنى الذي يريده، أو الذي يريد أداءه مطابقته لمقتضى الحال، فيجمع بذلك بين وظيفتي علم البيان والمعاني، فلا بد أن يُراعي ذلك.
هناك درجات للتفاوت في وضوح الدلالة، هذه الدرجات لا بد من ضبطها)«1»
وهناك دلالة أخرى للفظ وهي دلالة الصوت والذي يعتبر جزء مهم في دلالة اللفظ وأحيانا تؤخذ دلالته من صوته مثل الفعل (يدع) في قوله تعالى (فذلك الذي يدع اليتيم) فعندما تدفع شخص من خلفه بقوة وعلى غفلة منه يصدر صوت (أعْ) فاخذ من الفعل يدع

دلالة الصوت :

يلعب الصوت دورا مهما في إبداع المعنى في الشعر وقد استعان الشاعر بعدد من المؤثرات الصوتية في عرض معناه والإحياء به وتصويره بحيث يمكننا القول بأن الشاعر قد جعل من الصوت عنصرا إبداعيا في شعره .
وكما يقول (ألفريد جاري)«2»فإن : (الذي يجب ألا يغيب عن بالنا أبدا في تقويمنا لكل عنصر من عناصر القصيدة هو ربطه بالعناصر التي تنشئ لنا وحدة واحدة، ولذلك فإن التأثيرات الصوتية ينبغي أن تدرس دائما مرتبطة بالمعنى والفكرة والتخيل والإيقاع)«3»
يقول ابن زيدون«4»

أضحى التنائي بديلا عن تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا

فانظر إلى هذا الصوت الذي نتج من تكرار حرف النون والتنوين الذي يعطي الصوت نفسه فهو مناسب لما يحس به الشاعر من ألم الفراق فالقارئ المتمكن يترجم ويحس دلك بسرعة بمجرد مروره على هذه الالفاظ معنوية وصوتية ؛ولهذا كان للصوت دلالة قوية في إيضاح المعنى

وبما أننا نتحدث عن الشعر فيمكننا بيان دلالة الصوت فيه من النواحي الآتية :

1 – الروي :

الروي في اللغة سحابة عظيمة القطر شديدة الوقع مثل السقيّ وعين رية كثيرة الماء قال الأعشى فأَوْرَدَها عَيْناً من السّيفِ رَيَّةً به بُرَأٌ مِثْلُ الفَسِيلِ المُكَمَّمِ«5»
وهو أيضا الشراب التام وكلا المعنيين مرتبط بالماء والرواء .
اما في الاصطلاح : هو حرف القافية الذي تبنى عليه القصيدة ويظل يتكرر خلال أبيات القصيدة كلها«6»
من مثل قول الشاعر في قصيدته المدخل«7» :

وفُـتِنَّا بالشعر مند ولدنا واستسغنا به لذيد البكاء
فاحتسيناه نشوة ودموعا قبل عهد الشفاه بالأشياء

---

1 - البيان والبديع المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية الناشر: جامعة المدينة العالمية ص 28
2 - تحولات المشهد المسرحي " الممثل و المخرج " ، د/ محمود أبو دومة ، ص:50
3 - ينظر إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي ؛ د. محمد العبد، جامعة عين شمس ط1 ، 1988م ص13
4 - الديوان 141
5 - لسان العرب 14 / 345
6 - ينظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب- مجدي وهبة ، وكامل المهندس- بيروت ص190
وعلم العروض والقافية ،المؤلف: عبد العزيز عتيق ؛ دار النهضة العربية بيروت ص 137
7 - على جناح نورس ص 63

وقد اشتهرت بعض القصائد في الأدب العربي بحرف رويها مثل لامية العرب للشنفرى ولامية العجم للطغرائي وسينية البحتري وهمزية البصيري وغيرها .
وبتوحيد الوزن والقافية (أي الروي)نخلص إلى البنية الإيقاعية أي الصورة الموسيقية للقصيدة العربية التي سار عليه الشاعر في بناء قصائده يقول عبد الفتاح صالح (إذا كان الوزن هو الأساس الآلي للبيت فإن الإيقاع هو الأساس الذي يبنى عليه التعبير عن أفكار الشاعر بحرية تامة، وعلى هذا الأساس يعد أسمى من الوزن دائما والشاعر العظيم هو الذي يتخذ من الوزن خادما طيعا إذ يقوم بتوزيع الأنظمة الإيقاعية التي تظهر تفرد شخصيته في حين يحافظ على التشكيلات الوزنية)«1»
فكلما كان الوزن عنصرا دلاليا في النص الشعري ساعدَ على تعميق البنية الدلالية وتزداد قيمته الفنية حين يلصق فوق خط الاختلاف الدلالي سلاسل من التمثيلات الصوتية«2».

2 – النبر

(نبر) النَّبْرُ بالكلامِ الهَمْز قال وكلُّ شيء رفع شيئاً فقد نَبَرَه والنبْرُ مصدر نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبِرُه نَبْراً هَمَزَه وفي الحديث قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا نَبيءَ الله فقال لا تَنْبِر باسمي أَي لا تَهْمِزْ وفي رواية فقال إِنَّا معْشَرَ قريش لا نَنْبِرُ والنبْرُ هَمْزُ الحرْفِ ولم تكن قريش تَهْمِزُ في كلامها«3».
أما في الاصطلاح :
النبر: يعنى (الضغط على مقطع معين من مقاطع الكلمة، فيعطى لهذا المقطع المنبور قدرا من التميز أو الوضوح السمعي، و الذي يحمل بدوره قيمة دلالية كالانفعال أو الاهتمام أو التأكيد ...)«4»
يقول إبراهيم أنيس: (هو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد، فعند النطق بمقطع منبور نلحظ أن جميع أعضاء النطق تنشط غاية النشاط)«5».
وأعضاء النطق التي تنشط أقصى الحنك واللسان والشفتين فحين النطق بالصوت الغير منبور نلاحظ فتور في هذه الأعضاء.
ويحدث النبر عندما تقوى حركة الوترين الصوتيين ويقتربان أحدهما من الآخر ليسمحا بتسرب أقل مقدار من الهواء فتقوى لذلك سعة الذبذبات ويترتب عليه صوتا عاليا واضحا في السمع هذا في حالة الأصوات المجهورة ؛ أما في الأصوات المهموسة فيبتعد الوتران الصوتيان أحدهما عن الآخر أكثر من ابتعادهما مع الصوت الغير منبور وبذلك يتسرب مقدار أكبر من الهواء«6».

3 – التنغيم :

---

1 - عضوية الموسيقى في النص الشعري الحديث؛ عبد الفتاح صالح- مكتبة المنار الأردن ط1 1985م ص50
2 - ينظر المرجع نفسه
3 - لسان العرب مادة نبر 5 / 188
4 - أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ص 41
5 - الأصوات اللغوية – ص 97
6 - ينظر الأصوات اللغوية – ص 97

وهذا مثال عن أثر الصوت في شعر البغدادي؛ والمتمثل في مرثيته المشهورة على روح صديقه عبدالله الهوني يقول فيها«1»

عبيد الله كيف رحلت دوني؟ وكيف حجبت شمسك عن عيوني؟
وكيف وكيف تتركني وشأني وما انفصلت شؤونك عن شؤوني
أتتركني وقد نزفت جراحي بما أبقى التغرب في وتيـــــني
أتتركني وقد واكبت خطوي وبلغت المنى ماضي سنيـــــني
أيلفظني حماك فأي صـــدر رحيم بعد صدرك يحتويـــــني
تحطم زورقي فغدا شراعي على كف الـرياح بلا سـفــين
أنا الباكي الحزين فأي شعر يترجم لوعة الـباكي الحــزين

انظر إلى قوافي الأبيات كيف أُحكم صياغتها؛ فقد تتابعت منسقة تنسيقا محكما وجيدا وها هي (عيوني – شؤوني – وتيني – سنيني – يحتويني – سفيني – الحزين) فإنك تكاد تراها متحدة في عدد حروفها وحركاتها وسكناتها، واستمع إلى هذا البيت:

فلا نطقي يبلغني مرادي ولا صمتي يعبر عن شجوني

وهنا نراه يوفق بين الألفاظ توفيقا دقيقا؛ فنحس ما يصنعه هذا التوافق من صوت بين الحروف والكلمات ناتج عن الصلة بين الالفاظ والعبارات، هذا (التوافق الصوتي) الذي يأتي على كل ألفاظ البيت(نطقي – يبلغني – مرادي – صمتي – شجوني) نراه من خلال إتقانه في استخدام الكسرة التي نراها في كثير من الكلمات؛ بحيث لا يصل القارئ إلى القافية إلا ويحس بأن الكلمات تنساب انسيابا وكأنه ماء ينساب من السقاء ، ولعل السبب في أنه أكثر في تلك القصيدة من صنع قوافي داخلية قبل القافية الخارجية على نحو ما نراه في قوله .

تجمدت القوافي في شفاهي وجف النبع منها في معيني

انظر إلى هذه القافية الداخلية في القصيدة التي جاء بها لتتم له تقطيعات صوتية يستطيع بها أن يعبر عن حزنه العميق هذه التقطيع الصوتي ينم عن مهارة فنية في استخدام الصناعة الخفية في الشعر ، وليست هذه الصناعة الخفية إلا ما نصفه الآن من هذه المهارة الفائقة في استخدام فن الصوت في الشعر ومعرفة قيمه والاحتكام إليها في صناعته. ويتصل بهذه القوافي من تقسيم مقطعي؛ الذي هو عبارة عن قمة إسماع غالبا ما تكون صوت علة مضافا إليها أصوات أخرى .

وترجع أهمية المقطع في الدراسة الصوتية إلى أسباب كثيرة منها :

1 – أن اللغة كلام ، والمتكلمون لا يستطيعون نطق أصوات الفونيمات كاملة بنفسها ، أو هم لا يفعلون ذلك إن استطاعوا ، وإنما ينطقون الأصوات في شكل تجمعات هي المقاطع ولدا يقال في المقطع يخرج الفونيم للحياة ولكي تصف المقطع تخبر كيف تشكله الفونيمات ولتصف الفونيمات أنت تدرس كيف تنظم نفسها في المقطع

2 – اعتبار التركيب المقطعي يساعد كثيرا في اتخاذ قرار بالنسبة لأفضل تحليل لصوت أو مجموعة صوتية تعد من الناحية الصوتية غامضة .

3 – المقطع هو مجال العمل بالنسبة للطرق الثلاثة الأكثر أهمية التي تعدل أصوات الكلمات وهي :

أ – النبر (سواء كان نبر كلمة أو جملة)

---

1 - ديوان الشاعر ص 297

ب – الإطالة ذات المعنى ويتكون من صوت صامت تتلوه حركة طويلة ويشكل مساحة لا بأس بها في اللغة العربية مثل (يا)و (لا) .
ج – صعود وهبوط درجة الصوت وعادة ما يتطابق التغيير الملحوظ في منحنى درجة الصوت مع حدود المقطع
4 – المقطع يشكل درجة في السلم الهرمي للوحدات الصوتية التي يشكل كل منها من أصغر وحدة تسبقه (الفونيم) ثم يأتي المقطع المكون من الفونيمات بترتيب معين ثم تأتي مجموعة النغم«1» المحتوية على النبر وعلى تتابعات من المقاطع ، ثم مجموعة التنغيم التي تحتوي على تتابعات من مجموعات التنغيم«2»
5 – المقطع أكبر وحدة نحتاج إليها في شرح كيفية تجمع الفونيمات في اللغة .
6 – المقطع أساسي لاكتساب طريقة النطق ، وهو أحسن طريقة للتعود على النطق الصحيح للنغمات الصوتية ، وللوقفات الموجودة في اللغة، فالنطق مقطعا مقطعا مع الوقفات الصحيحة بين كل مقطع ومقطع وبالتدريج يصل إلى سرعة النطق للحدث الكلامي«3»
ومما سبق نصل إلى دلالة استخدام المقاطع الصوتية ودورها في أثراء الخطاب في شعر البغدادي وهذا النموذج يوضح ذلك يقول «4»:

بعدت عن الديار وطال بعدي ولا أحد يمن ويفتديـــــني
لبست من التصبر في اغترابي دروعا تدفع النكبات دوني

فإلى جانب دلالة الأصوات المستخدمة في هذين البيتين نرى التشكيل المقطعي لهما في أرقى صوره .
فالشاعر في البيتين السابقين يصور أحاسيسه ومواجعه وعلاقته الحميمة به ومن خلال المحنة الخاصة استطاع أن يجعل من رثاء الفقيد وثيقة فنية مؤثرة يمكن قراءتها من خلال التشكيل المقطعي لهذه الأبيات فالكلمات (بعدت ، الديار ، بعدي، يفتديـني، التصبر، اغترابي، النكبات)

النتائج

1 – إن علم الدلالة نشأ لصيقا بعلم اللسانيات فلولا اللسانيات لم يكن لعلم الدلالة وجود وذلك لان اللسانيات تهتم باللفظ وعلم الدلالة يهتم بالمعنى

2 – الالفاظ في اللغة العربية مختلفة الدلالة متعددة المعاني فأحيانا نعبر عن المعنى الواحد بأكثر من لفظ وأحيانا تكون للجملة الواحدة أكثر من دلالة .

---

1 - أسس علم الأصوات ص 25
2 - دراسة الصوت اللغوي تأليف د . أحمد مختار عمر ، 1997م ص283
3 - أسس علم اللغة تأليف ماريو باي ترجمة وتعليق د. أحمد مختار عمر ط8 ، 1998م ص 97
4 - ديوان الشاعر ص 299

3 – الدراسة منصبة على المعنى إذ أن اللفظ باق على حاله منذ وضعه في اللغة ولكن الذي اختلف معناه فهو يختلف بمرور الوقت أو يتغير مثل لفظ طبيب كانت تعني الحاذق الماهر وهي ألان تعني من يمارس مهنة الطب

4 – الاهتمام بالمباحث الدلالية يتطور بمرور الزمن وذلك لأن اللغة متطورة

5 – تنوع التراكيب اللغوية التي تؤدي وظائف دلالية معينة هو الذي يثري اللغة إثراء يحفظ أصولها ولا يكون حاجزا أمام تطورها وتجددها

6 – النظام اللغوي نظام متجدد الكلمات فيه لا تخضع لقانون ثابت يلزمها بمدلولاتها

7 – لكل لفظ ثلاث دلالات دلالة معجمية ودلالة صناعية (الزمن) ودلالة فاعلية

8 – من مظاهر الحيوية والحركة في النظام اللغوي قدرة اللغة على الاختزال في الطاقة التعبيرية ودون الإخلال بالوظيفة الإبلاغية«[1]»

1 - علم الدلالة أصوله ومباحثه لمنقور عبد الجليل ص 234